الجذور التاريخية والسياسية لقيام الدولة الصفوية

- دراسة في تأثير التحولات الإسلامية القديمة على تشكيل الهوية الصفوية -

حامد آل يمين
أستاذ مساعد، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
aleyamin@ut.ac.ir
علي عبدالحسن هاشم
طالب دكتوراه، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
Alarabe81@gmail.com

The Historical and Political Roots of the Establishment of the Safavid State - A Study of the Influence of Ancient Islamic Transformations on the Formation of the Safavid Identity

Hamed Aleyamin
Assistant Professor , Department of Islamic History , Faculty of Islamic Studies and Thought , University of Tehran , Iran
Ali Abdul Hassan Hashem
Student PhD, Department of Islamic History , Faculty of Islamic Studies and Thought , University of Tehran , Iran

الملخص:-

شهدت الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٣٦م) تحولات سياسية وفكرية عميقة أسهمت في تشكيل هويتها المتميزة ضمن التاريخ الإسلامي، يهدف هذا البحث إلى دراسة الجذور التاريخية والسياسية التي مهدت لقيام الدولة الصفوية، مع التركيز على تأثير التحولات الإسلامية القديمة في تشكيل هويتها السياسية والدينية. يتناول البحث العوامل التي ساهمت في نشوء الدولة الصفوية، بدءًا من التغيرات الفكرية والصراعات الدينية في العصور الإسلامية المبكرة، مرورًا بالعلاقات بين القوى الإقليمية المختلفة، وصولًا إلى الأيديولوجيا التي تبنتها الدولة الصفوية في بسط نفوذها، كما يستعرض البحث تأثير التحولات السياسية والدينية في العالم الإسلامي، مثل الصراع بين الخلافة العباسية والسلطنات الإقليمية، على نشأة وتطور الفكر السياسي الصفوي. يعتمد البحث على دراسة تحليلية للمصادر التاريخية والمقارنة بين العوامل التي أثرت في نشوء الصفويين والدول الإسلامية السابقة، من خلال هذا البحث، سيتم تسليط الضوء على كيفية تفاعل التحولات الإسلامية مع الأوضاع السياسية لتشكيل هوية الدولة الصفوية، مما يتيح فهمًا أعمق لأحد أبرز الفترات في التاريخ الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الدولة الصفوية، الهوية السياسية، التحولات الإسلامية، التاريخ الإسلامي، الفكر السياسي.

Abstract:-

The Safavid state (1501-1736 AD) witnessed profound political and intellectual transformations that contributed to shaping its distinct identity within Islamic history. This research aims to study the historical and political roots that paved the way for the establishment of the Safavid state, focusing on the impact of ancient Islamic transformations in shaping its political and religious identity. The research addresses the factors that contributed to the emergence of the Safavid state, starting with intellectual changes and religious conflicts in the early Islamic eras, through the relations between the various regional powers, and reaching the ideology adopted by the Safavid state in extending its influence. The research also reviews the impact of political and religious transformations in the Islamic world, such as the conflict between the Abbasid Caliphate and regional sultanates, on the emergence and development of Safavid political thought. The research is based on an analytical study of historical sources and a comparison between the factors that influenced the emergence of the Safavids and previous Islamic states. Through this research, light will be shed on how Islamic transformations interacted with political conditions to shape the identity of the Safavid state, allowing for a deeper understanding of one of the most prominent periods in Islamic history.

Key words: Safavid state, political identity, Islamic transformations, Islamic history, political thought.

المقدمة:ـ

شهد التاريخ الإسلامي تحولات كبرى أسهمت في تشكيل الهويات السياسية والدينية لمختلف الدول والإمبراطوريات التي نشأت بعد العصر الإسلامي المبكر، ومن بين هذه الكيانات الدولة الصفوية التي قامت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، فلم يكن ظهور الصفويين حدثًا معزولًا، بل جاء نتيجة تفاعلات طويلة بين العوامل الدينية، الاجتماعية، والسياسية التي امتدت لقرون، مما جعل تأسيس هذه الدولة محطة مفصلية في التاريخ الإسلامي، إذ لعبت التحولات الإسلامية القديمة، كالصراعات المذهبية بين السنة والشيعة، وانتشار التصوف، ودور الحركات الباطنية، دورًا محوريًا في تشكيل العقيدة الصفوية وإضفاء الشرعية الدينية على حكمها، كما تأثرت الهوية الصفوية بالصراعات الإقليمية بين القوى الكبرى آنذاك، كالعثمانيين والمماليك، مما جعلها تمثل نقطة تحول في التوازنات السياسية داخل العالم الإسلامي، وخلال هذه الدراسة سيتم التركيز على الجذور التاريخية والسياسية التي مهدت لقيام الدولة الصفوية، مع التركيز على دور التحولات الإسلامية القديمة في بلورة هوية الصفويين السياسية والدينية، وذلك من خلال تحليل السياقات التاريخية التي ساهمت في صعود هذه الدولة وتثبيت نفوذها في المنطقة.

أهمية البحث:

يسلط البحث الضوء على الجذور التاريخية والسياسية لقيام الدولة الصفوية، ويوضح تأثير التحولات الإسلامية القديمة على تشكيل هويتها، كما يساعد في فهم التفاعلات بين الدين والسياسة في بناء الدول الإسلامية.

مشكلة البحث:

ما مدى تأثير التحولات الإسلامية القديمة على نشوء وتطور الهوية الصفوية؟ وكيف ساهمت العوامل السياسية والفكرية في بروز الدولة الصفوية كلاعب رئيسي في التاريخ الإسلامي؟

أهداف البحث:

- تحليل الجذور التاريخية والسياسية لقيام الدولة الصفوية.

- استكشاف تأثير التحولات الإسلامية القديمة على الهوية الصفوية.
- فهم دور الفكر السياسي والديني في تشكيل الدولة الصفوية.
- مقارنة الدولة الصفوية بالتجارب السياسية السابقة في التاريخ الإسلامي.

الجديد في البحث:

يقدم البحث تحليلًا معمقًا للعلاقة بين التحولات الإسلامية القديمة وبناء الهوية السياسية الصفوية، مع التركيز على الأبعاد الفكرية والسياسية التي لم تحظَ بدراسة كافية في الأبحاث السابقة.

المبحث الأول

الجذور التاريخية لقيام الدولة الصفوية

شهدت الدولة الصفوية، التي تأسست على يد الشاه إسماعيل الأول[١] عام ١٥٠١م[٢]، تحولات عميقة جعلتها واحدة من أبرز القوى السياسية والدينية في الشرق الأوسط خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد اتسمت هذه الدولة بدمجها بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، حيث نشأت من جذور صوفية شافعية قبل أن تتحول إلى قوة عسكرية شيعية كبرى، متبنية المذهب الشيعي الاثني عشري كمرجعية دينية رسمية، هذا التحول لم يكن مجرد تغيير مذهبي، بل كان جزءًا من مشروع سياسي واسع يهدف إلى ترسيخ الهوية الشيعية في بلاد فارس، مما جعل الدولة الصفوية تلعب دورًا رئيسيًا في تشكيل الخريطة الدينية والسياسية للمنطقة. وقد أدى هذا التحول إلى مواجهة مباشرة مع القوى السنية الكبرى، وعلى رأسها الدولة العثمانية، التي رأت في الصفويين تهديدًا مباشرًا لنفوذها في العالم الإسلامي، مما أدى إلى صراعات طويلة كان لها أثر واضح على موازين القوى في العالم الإسلامي[٣].

لم يكن ظهور الدولة الصفوية حدثًا معزولًا، بل جاء نتيجة تحولات فكرية وسياسية كبرى شهدها العالم الإسلامي منذ القرون الأولى، حيث لعبت النزاعات المبكرة حول الخلافة الإسلامية دورًا جوهريًا في تشكيل الهوية السياسية والمذهبية التي تبنتها الدولة الصفوية لاحقًا. فمنذ وفاة النبي محمد ﷺ عام[٤]، نشأ خلاف بين المسلمين حول أحقية

الخلافة، مما أدى إلى انقسام الأمة إلى سنة وشيعة. اعتقد الشيعة أن الخلافة يجب أن تكون في ذرية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، استناداً إلى مبدأ الإمامة الذي يرى أن القيادة الروحية والسياسية للأمة يجب أن تكون في نسل الإمام علي، وذلك وفقًا لوصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مناسبات، مثل حديث الغدير[٥]، بينما رأى السنة أن الخلافة يمكن أن تكون في أي فرد مؤهل من قريش، بغض النظر عن انتمائه العائلي أو المذهبي، معتبرين أن الاختيار يجب أن يكون وفقًا للأهلية والكفاءة في إدارة شؤون الأمة، هذا الاختلاف حول من يملك الحق في الخلافة لم يقتصر على النقاش النظري بل تحول إلى صراعات سياسية وعسكرية دامت لقرون، مما أسهم في تعميق الانقسام المذهبي في العالم الإسلامي، كما تسبب هذا الانقسام في صراعات سياسية طويلة الأمد أثرت على نشوء الدول الشيعية عبر التاريخ[٦]، وعلى مر العصور ظهرت حركات شيعية بارزة سعت إلى فرض سيطرتها الدينية والسياسية، وكان لها دور في إرساء الأفكار التي تبنتها الدولة الصفوية لاحقًا، مثل الثورات العلوية ضد الخلافة الأموية والعباسية، ومنها ثورة زيد بن علي (١٢٢هـ/٧٤٠م) التي عبرت عن رفض الشيعة لحكم بني أمية[٧]، وقيام الدولة الفاطمية في مصر (٩٠٩-١١٧١م) التي كانت خلافة شيعية إسماعيلية منافسة للخلافة العباسية في بغداد[٨]، إضافة إلى دولة البويهيين (٩٤٥-١٠٥٥م) التي سيطرت على بغداد وحكمت تحت اسم الخلافة العباسية ولكن بمنهج شيعي اثني عشري[٩]، ساهمت هذه الحركات في تمهيد الطريق لقيام دولة شيعية قوية مثل الدولة الصفوية. إلى جانب الحركات الشيعية، لعبت الطرق الصوفية دوراً مؤثراً في تعزيز هذا الاتجاه، حيث تأثر العديد من أتباع الطرق الصوفية بالأفكار الشيعية، من بين هذه الحركات، برزت الحركة الإسماعيلية التي اعتمدت على الدعوة السرية في بداية نشأتها، قبل أن تتمكن من فرض سيطرتها على شمال إفريقيا، وحركة الحشاشين[١٠] في القرن الحادي عشر[١١]، امتزجت هذه الحركة بين العقيدة الإسماعيلية الباطنية والأساليب السياسية والعسكرية، مما ترك بصمته على النهج السياسي الذي تبنته الدولة الصفوية لاحقًا. أما الحركة الصفوية، فقد بدأت كطريقة صوفية شافعية قبل أن تتطور إلى حركة شيعية عسكرية ذات طموحات سياسية واسعة، وترجع جذور الدولة الصفوية إلى هذه الطريقة الصوفية، التي شكلت الأساس لقيامها وتحولها إلى قوة دينية وسياسية بارزة التي أسسها الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م)[١٢]، كان شيخًا صوفيًا شافعي الأصل، لكنه

أسس طريقة روحانية مزجت بين الممارسة الدينية والتأثير السياسي، مما منحه قاعدة كبيرة من الأتباع في بلاد فارس وآسيا الصغرى، ومع مرور الوقت، ازداد ارتباط أتباع الطريقة الصفوية بمشيختهم، وأصبح ولاؤهم لها أكثر قوة وتأثيراً، ومع مرور الزمن، بدأ أتباع الطريقة الصفوية يظهرون ولاءً شديداً لمشيختهم، وهو ما استغله جنيد الصفوي[١٣]، جد الشاه إسماعيل الأول في تحويل الطريقة من حركة دينية إلى قوة سياسية وعسكرية ذات بعد شيعي متشدد، وفي عهد جنيد الصفوي (١٤٤٧-١٤٦٠م)، بدأت الطريقة تتبنى مواقف أكثر تشدداً في العقيدة، حيث رأت نفسها ممثلة للحق الإلهي في الحكم، وقد قام جنيد الصفوي بتسليح أتباعه وتحويلهم إلى قوة مقاتلة، مما أدى إلى مواجهات عسكرية مع القوى الإقليمية، مثل الآق قويونلو (التركمان البيض) والقراقويونلو (التركمان السود) [١٤]، وخلال عهد حيدر الصفوي، اكتسب أتباعه اسم القزلباش، وهم مقاتلون شيعة متعصبون شكلوا العمود الفقري لقوات الشاه إسماعيل الأول لاحقًا[١٥].

بعد سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م، انهارت الخلافة العباسية كقوة سياسية، مما أدى إلى تفكك السلطة المركزية في بلاد فارس[١٦]، وأدى ذلك إلى فراغ سياسي استغلته الدولة الصفوية لترسيخ نفوذها، حيث تحولت المنطقة إلى ساحة صراع بين قوى متنافسة، من بين هذه القوى كانت الإمبراطورية المغولية التي عجزت عن فرض سيطرتها بشكل مستدام، إضافة إلى الدولة التيمورية التي بسطت نفوذها على بلاد فارس لكنها سرعان ما انهارت بعد وفاة تيمورلنك عام ١٤٠٥م، مما خلق حالة من عدم الاستقرار، كما اشتد التنافس بين الفصائل التركمانية، مما زاد من حدة الصراع في المنطقة وهو ما منح الشاه إسماعيل الأول فرصة السيطرة على تبريز وإعلان دولته عام ١٥٠١م[١٧]،بفضل الدعم العسكري القوي من القزلباش، نجح الشاه إسماعيل الأول في التغلب على خصومه السياسيين، ليعلن تأسيس الدولة الصفوية عام ١٥٠١م عقب سيطرته على تبريز، ومنذ ذلك الحين شرع في فرض المذهب الشيعي الاثني عشري بالقوة، مما أدى إلى تغيير جذري في التركيبة الدينية لإيران، وتحويلها إلى معقل أساسي للمذهب الشيعي حيث تم القضاء على النفوذ السني وإحلال الهوية الشيعية مكانه[١٨].

وعليه، فإن نشوء الدولة الصفوية لم يكن مجرد نتيجة لطموحات سياسية، بل كان حصيلة تحولات فكرية ودينية ممتدة منذ العصور الإسلامية الأولى. فقد لعبت الصراعات

المذهبية، وظهور الحركات الشيعية والصوفية، إضافة إلى حالات الانهيار السياسي، دوراً محورياً في تمهيد الطريق أمام صعود الدولة الصفوية كقوة دينية وسياسية بارزة. ويساهم فهم هذه الجذور في إدراك التحولات العميقة التي شهدها العالم الإسلامي وتأثيراتها المستمرة حتى يومنا هذا.

المبحث الثاني

الجذور السياسية لقيام الدولة الصفوية

نشأت الدولة الصفوية نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل السياسية والإقليمية التي مهدت لصعودها كقوة مؤثرة في العالم الإسلامي، لم يكن تأسيسها مجرد تحول داخلي في إيران، بل جاء انعكاساً لتغيرات إقليمية واسعة أعادت رسم موازين القوى في المنطقة. ومن أبرز هذه العوامل ضعف الخلافة العباسية وتراجع النفوذ السني في بلاد فارس، مما أدى إلى فراغ سياسي استغله الصفويون لترسيخ سلطتهم، فمنذ سقوط بغداد بيد المغول عام ١٢٥٨م[١٩]، شهدت بلاد فارس اضطرابات سياسية عميقة، إذ فقدت الخلافة العباسية سلطتها الفعلية، وتحولت المنطقة إلى ميدان صراع بين قوى متنافسة، وعلى الرغم من تأسيس المغول دولتهم في فارس، فإنهم لم ينجحوا في فرض حكم مركزي قوي، ما أدى إلى تفككها عقب انهيار حكم الإلخانات في القرن الرابع عشر، هذا الفراغ السياسي أتاح الفرصة لظهور قوى إقليمية جديدة، كان من أبرزها الدولة التيمورية، التي برزت بقيادة تيمورلنك، حيث تمكن من بسط نفوذه على بلاد فارس وأجزاء واسعة من العالم الإسلامي، لكنه لم ينجح في تأسيس دولة مستقرة بعد وفاته عام ١٤٠٥م[٢٠]، ومع تراجع نفوذ التيموريين، برزت عدة إمارات تركمانية تتنافس على السيطرة في المنطقة، مما أتاح للحركة الصفوية، التي بدأت كطريقة صوفية، فرصة للتحول إلى قوة عسكرية وسياسية. استغل الشاه إسماعيل الأول حالة الاضطراب السائدة، وسعى إلى توحيد أتباعه من القزلباش لتعزيز نفوذه وترسيخ سلطته، ومن خلال سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة، تمكن إسماعيل من هزيمة منافسيه التركمان، وسيطر على مدينة تبريز عام ١٥٠١م[٢١]، أعلن إسماعيل الأول نفسه شاهًا لإيران ومؤسساً للدولة الصفوية، ومنذ ذلك الحين، شرع في فرض المذهب الشيعي الإثني عشري كعقيدة رسمية للدولة، في تحول

جذري غير المشهد الديني في المنطقة، إذ كانت بلاد فارس ذات أغلبية سنية آنذاك، لتحقيق هذا الهدف، لجأ إسماعيل إلى القوة العسكرية والقمع الديني، حيث أمر بالقضاء على الفقهاء السنة وطردهم من المدن الكبرى، كما أجبر السكان على اعتناق المذهب الشيعي بالقوة، هدفت هذه السياسة إلى ترسيخ الهوية الدينية للدولة الناشئة، لكنها في الوقت ذاته أدت إلى صدام مباشر مع القوى السنية الكبرى، وعلى رأسها الدولة العثمانية، هذا التحول لم يقتصر فقط على النواحي العقائدية، بل امتد ليشمل الجوانب العمرانية بشكل مباشر، ففي إطار تعزيز الهوية المذهبية الشيعية، تم بناء العديد من المساجد الكبيرة التي تحمل في تصميمها العديد من العناصر المميزة للطراز المعماري الشيعي، مثل الأضرحة والمقامات، فضلاً عن الأواوين والقباب المميزة التي تميزت بها مدينة أصفهان[٢٢]،وعلى المستوى الإقليمي، شكلت الدولة العثمانية أكبر التحديات التي واجهها الصفويون، إذ اعتبرت الخلافة العثمانية، بقيادة السلطان سليم الأول[٢٣]، انتشار التشيع تهديداً وجودياً لكيانها السني، لم تكن المواجهة بين الصفويين والعثمانيين مجرد صراع ديني، بل كانت أيضًا معركة على النفوذ والسيطرة الإقليمية، حيث سعى كل طرف إلى فرض هيمنته على مناطق استراتيجية مثل العراق، وأذربيجان، وأجزاء من الأناضول. وقد تجلى هذا الصراع في معركة جالديران عام ١٥١٤م[٢٤]، التي انتهت بانتصار العثمانيين، ما أدى إلى تقليص نفوذ الصفويين في الغرب، إلا أن الدولة الصفوية واصلت مقاومتها وسعت لاحقًا لإعادة ترسيخ وجودها في المناطق المتنازع عليها، حيث قاد السلطان العثماني سليم الأول جيشًا كبيرًا ضد الصفويين، وتمكن من هزيمة الشاه إسماعيل الأول هزيمة ساحقة، حيث لم يكن الجيش الصفوي، الذي كان يعتمد بشكل أساسي على الفرسان القزلباش، قادراً على مواجهة المدافع العثمانية المتطورة، كانت هذه المعركة نقطة تحول في تاريخ الدولة الصفوية، حيث فقدت السيطرة على أجزاء من أذربيجان وكردستان والعراق الشرقي، وأجبرت على تبني استراتيجيات دفاعية جديدة لمواجهة التوسع العثماني المستمر، وعلى الرغم من هذه الهزيمة، لم تتوقف المواجهات بين الطرفين، حيث استمرت الحروب العثمانية الصفوية لقرون، وكان العراق مسرحًا رئيسيًا لهذه الصراعات، حيث تبادل الطرفان السيطرة عليه عدة مرات، حتى استقر في النهاية تحت الحكم العثماني بعد حملة السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨م[٢٥].

أما على الصعيد الداخلي، فقد واجهت الدولة الصفوية مقاومة شديدة من بعض الإمارات المحلية السنية داخل إيران، خاصة في المناطق الشرقية والجنوبية، حيث كانت القبائل البلوشية والأوزبكية تشكل تحديًا دائمًا للسلطة الصفوية. ومن أجل فرض سيطرتها، اعتمدت الدولة على القوة العسكرية، حيث شنت حملات قمعية ضد القبائل السنية المتمردة، كما قامت بنقل أعداد كبيرة من السكان الشيعة إلى المناطق السنية لإحداث تغيير ديموغرافي يخدم مصالحها، إضافة إلى ذلك، لجأ الصفويون إلى الترويج للعقيدة الشيعية عبر بناء المدارس الدينية، واستقطاب علماء الدين من جبل عامل في لبنان والعراق، الذين لعبوا دورًا رئيسيًا في نشر المذهب الشيعي في إيران وتعزيز شرعية الدولة الصفوية(٢٦).

إلى جانب البعد الديني، اعتمد الصفويون على نظام إداري محكم لضمان استقرار حكمهم، فأنشؤوا بيروقراطية مركزية قائمة على ولاء القزلباش ودعم العائلات الفارسية الكبرى، كما عملوا على تحديث جيشهم لمواجهة التحديات العسكرية المتزايدة، حيث أدخل الشاه عباس الأول إصلاحات جوهرية، تضمنت تعزيز استخدام الأسلحة النارية مثل البنادق والمدفعية الأوروبية، وقد ساهمت هذه التحديثات في تعزيز القدرات العسكرية للصفويين، مما مكّنهم من استعادة بعض الأراضي التي خسروها في النزاعات السابقة، وترسيخ نفوذهم في المنطقة وقد نجح الشاه عباس في استعادة أذربيجان وأجزاء من القوقاز، كما تمكن من استعادة بغداد لفترة قصيرة قبل أن يعيدها العثمانيون إلى سيطرتهم(٢٧).

أسهمت هذه السياسات في توحيد إيران تحت راية الدولة الصفوية وجعلها قوة إقليمية بارزة قادرة على التصدي لخصومها. ومع ذلك، لم تكن هذه الإنجازات كافية لضمان استقرار الدولة على المدى البعيد، إذ أدى ضعف الحكام الذين جاؤوا بعد المؤسسين، إلى جانب استمرار النزاعات مع العثمانيين والأوزبك، إلى تآكل نفوذ الدولة تدريجيًا وإضعاف قدرتها على الحفاظ على مكتسباتها السياسية والعسكرية، مما مهد الطريق لسقوطها على يد الأفغان عام ١٧٢٢م(٢٨)، وبذلك، يمكن القول إن الدولة الصفوية نشأت نتيجة تحولات سياسية وإقليمية معقدة، اعتمدت على استغلال الفراغ السياسي الذي خلفه سقوط الخلافة العباسية، والتوسع العسكري والديني، لكنها في النهاية لم تستطع الصمود أمام الضغوط الداخلية والخارجية التي واجهتها.

الخاتمة:

بعد استعراض الجذور التاريخية والسياسية التي ساهمت في قيام الدولة الصفوية، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- بيّنت الدراسة أن الانقسامات الدينية والصراعات الفكرية في العصور الإسلامية الأولى، وخاصة الخلاف حول الخلافة والإمامة، لعبت دورًا حاسمًا في تشكيل الهوية السياسية والمذهبية للصفويين، فقد استلهمت الدولة الصفوية من الحركات الشيعية السابقة، مثل الدولة الفاطمية والبويهيين، في بناء مشروعها السياسي.
- أظهرت الدراسة أن بلاد فارس شهدت حالة من عدم الاستقرار السياسي بعد سقوط الخلافة العباسية، مع هيمنة قوى متنافسة مثل المغول والسلاجقة والتركمان، إذ أن هذا الفراغ السياسي مهد الطريق أمام صعود الحركة الصفوية، والتي تحولت من طريقة صوفية إلى قوة عسكرية وسياسية كبرى.
- بيّنت الدراسة أن الشاه إسماعيل الأول اعتمد على المذهب الشيعي الإثني عشري كعنصر أساسي في توحيد الدولة وتعزيز شرعيته، إذ فرض التشيع بالقوة وجعل رجال الدين الشيعة جزءًا من السلطة الحاكمة، مما أدى إلى تحول إيران إلى مركز شيعي رئيسي في العالم الإسلامي.
- أظهرت الدراسة أن إعلان الدولة الصفوية مذهبها الشيعي أدى إلى صراع مباشر مع القوى السنية المجاورة، خاصة الدولة العثمانية، التي خاضت معها معركة جالديران (١٥١٤م). كما تأثرت الدولة بعلاقاتها المتشابكة مع الإمبراطورية المغولية في الهند والقوى المحلية الأخرى، مما شكل سياساتها الخارجية وأثر على استقرارها.
- بيّنت الدراسة التأثير الجوهري للحركة الصفوية، التي بدأت كطريقة صوفية أسسها الشيخ صفي الدين الأردبيلي، في بناء العقيدة السياسية للصفويين. فقد استغل الشاه إسماعيل الأول الخطاب الصوفي الكاريزمي لتعزيز مكانته بين أتباعه، مما أكسبه دعمًا شعبيًا واسعًا ومكّنه من ترسيخ حكمه.

- أظهرت الدراسة أن تأثير الدولة الصفوية لم يقتصر على فترة حكمها، بل امتد ليشكل الهوية الدينية والسياسية لإيران الحديثة، فقد أسست نظام المرجعية الشيعية، وخلقت نموذجًا سياسيًا دمج بين السلطة الدينية والسياسية، وهو ما ترك بصمة واضحة على الفكر السياسي الشيعي حتى اليوم.
- أشارت الدراسة إلى أن الدولة الصفوية لم تكن مجرد كيان سياسي، بل كانت نقطة تحول جوهرية في تاريخ الإسلام، حيث غيرت موازين القوى في الشرق الأوسط، وأسست لمعادلة جديدة في الصراع المذهبي والسياسي بين السنة والشيعة. ومن خلال تحليل الجذور التاريخية والسياسية لقيامها، يمكن فهم كيفية تفاعل التحولات الإسلامية القديمة مع الأحداث السياسية لتشكيل واحدة من أهم الدول في التاريخ الإسلامي.

التوصيات:

- ضرورة تعزيز الدراسات المقارنة بين الدولة الصفوية والدول الإسلامية الأخرى إذ يُوصى بإجراء دراسات مقارنة بين الدولة الصفوية وغيرها من الدول الإسلامية الكبرى التي نشأت في فترات متقاربة، مثل الدولة العثمانية والدولة المغولية، لفهم أعمق لكيفية تأثير التحولات الفكرية والسياسية في تشكيل الهوية الدينية والسياسية في العالم الإسلامي.
- إعادة تقييم تأثير الصراعات المذهبية على تشكيل الهوية السياسية في العصر الحديث إذ يُوصى بمواصلة البحث في تأثير الصراعات المذهبية بين الشيعة والسنة في تاريخ الدولة الصفوية على الصراعات الحالية في الشرق الأوسط مما يساهم في إرساء أفق جديد لفهم التحديات السياسية في العالم الإسلامي المعاصر.
- ضرورة التركيز على دور الصوفية في بناء الدولة الصفوية من خلال إجراء دراسات متعمقة حول دور الحركات الصوفية في تعزيز سلطة الدولة الصفوية وكيف ساهمت الطرق الصوفية، مثل الطريقة الصفوية، في تشكيل الهوية الدينية والسياسية للصفويين.

هوامش البحث

(١) الشاه إسماعيل الأول: إسماعيل ميرزا، مؤسس الدولة الصفوية في إيران، ينسب إلى جده السادس وهو قطب الأقطاب صفي الدين إسحاق الأردبيلي، ت: ٩٣٠هـ، تميز بالصبر والذكاء وقوة الإرادة، والشجاعة والإقدام وحسن الإدارة، فالتف الناس حوله بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، وأقام دولته على أساس مذهبي ذي أصول سياسية واقتصادية وإدارية، ووضع الأساس الذى استمرت عليه هذه الدولة نحو قرنين من الزمان. ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف، محسن جمال الدين، المشرق الإسلامي بعد العباسيين، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٤، ص٦٢.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد٢٦، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص٩١.

(٣) جمال ابراهيم محمد عطا، هادمو الدولة العثمانية، دار البشير للثقافة والعلوم، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م، ص١٤٩-١٥٤.

(٤) حسن بن علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص٢٠٨.

(٥) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٣٧، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص١٢٨.

(٦) محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، دار الشروق، بيروت، ٢٠١٢، ص٤٣٢.

(٧) حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٠، نشر الهادي، قم المقدسة، ١٤١٧ه، ص١٦٤.

(٨) محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤١٣ه، ص٥٦.

(٩) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ص١٢.

(١٠) حركة الحشاشين وهى حركة ثورية نشيطة، انبثقت من بين أطلال الدعوة الفاطمية، وشكلت تحديا مريرا لحكم السلاجقة والسنيين، وقد فشل الحشاشون في النهاية، ولم تعد الشيعة بعد ذلك عاملا سياسيا كبيرا حتى ظهور الصفويين. ينظر: خورشيد، إبراهيم زكي، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج٢٣، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٧٠٨٨.

(١١) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢، ص١٩٤.

(١٢) صفي الدين الأردبيلي: صفي الدين أبو الفتح إسحاق بن السيد امين الدين جبرئيل الأردبيلي الموسوي ينتهى نسبه إلى حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، توفي سنة ٧٣٥ في أردبيل ودفن بها ودفن عنده جماعة كثيرة من أولاده وأحفاده كالشيخ صدر الدين والشيخ جنيد والسلطان حيدر وابنه الشاه إسماعيل والشاه محمد خدابنده والشاه عباس الأول وغيرهم، ينسب إليه السلاطين الصفوية الذين

اهتموا بنشر اعلام الدين وترويج شيعة أمير المؤمنين عليه السلام. ينظر: عباس القمي، الكنى والألقاب، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ص٤٢٤.

(١٣) جنيد الصفوي: جنيد بن إبراهيم بن علي الصفوي الموسوي الأردبيلي جد الملوك الصفوية ملوك إيران. ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص٢٤٧.

(١٤) أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٢٨٨.

(١٥) محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج٢، تح: علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص٣٧.

(١٦) محمد الموسوي، الفرقة الناجية، ج١، تح: فاضل الفراتي، مكتبة الأمين، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٣٧٠.

(١٧) ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد٢٦، ص٩١.

(١٨) أحمد الوائلي، هويّة التشيّع، ج٦، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ه، ص٩١.

(١٩) جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاوس، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، ج٣، تح: علي العدناني الغريفي، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ه، ص١٠.

(٢٠) محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ج١١، مركز الأبحاث العقائدية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص١٢.

(٢١) عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، عودة الصفويين، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص١٢.

(٢٢) أصفهان: مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء، وصفاء الجو وصحة الأبدان، وحسن صورة أهلها وحذقهم في العلوم والصناعات، وينسب إليها الأديب الفاضل أبو الفرج الأصفهاني، صاحب كتاب الأغاني. ينظر: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠، ص٢٩٧.

(٢٣) السلطان سليم الأول: السلطان سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد بن محمد بن بايزيد بن مراد ابن أورخان بن عثمان الغازي، ولد سنة ٨٧٢ هـ، وتولى الخلافة بعد أبيه، وكان سلطانا عظيم الصولة، فتحت مصر وبلاد الشام في عصره، وتحققت وحدة الأمة في عهده على نحو كبير، توفي سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠م. ينظر: الأمانة العامة للأوقاف، مدونة أحكام الوقف الفقهية، ج٣، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٣٦٠.

(٢٤) دارت هذه المعركة بين العثمانيين والفرس في ٢ رجب ٩٢٠هـ، الموافق٢٣ آب ١٥١٤م، في سهل جالديران، بالقرب من تبريز فعرفت بهذا الاسم، فبعد إعلان السلطان العثماني سليم الأول الحرب على الشاه

إسماعيل الصفوي سار الجيش العثماني حتى التقى مع الجيش الفارسي في سهل جالديران. وقد نجح العثمانيون في الانتصار على الفرس؛ بسبب استخدام العثمانيين الأسلحة الحديثة، ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه المعركة هي انتقال الأناضول الشرقية والجنوبية إلى حوزة الدولة العثمانية، عدا القسم الموجود لدى المماليك، وأفول نجم الصفويين السياسي لمدة عشرين سنة. ينظر: جهاد التُرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص٤٧.

(٢٥) أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، ص٣٨٢.

(٢٦) عبد المنعم شفيق، حزب الله رؤية مغايرة أصول وجذور، مجلة البيان، العدد١٤٢، ١٩٩٩م، ص٨٠.

(٢٧) عصام الدين عبد الرؤوف، محسن جمال الدين، المشرق الإسلامي بعد العباسيين، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٤، ص٦٧.

(٢٨) ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد٤١، ص١٦.

قائمة المصادر والمراجع

١. أحمد الوائلي، هويّة التشيّع، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢. أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

٤. الأمانة العامة للأوقاف، مدونة أحكام الوقف الفقهية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٥. جمال ابراهيم محمد عطا، هادمو الدولة العثمانية، دار البشير للثقافة والعلوم، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

٦. جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاوس، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تح: علي العدناني الغريفي، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٧. جهاد التُرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٨. حسن بن علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٩. حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، نشر الهادي، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

١٠. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

١١. خورشيد، إبراهيم زكي، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

١٢. رسول جعفريان، الشيعة في ايران، تر: علي هاشم الأسدي، الأستانة الرضوية المقدسة، إيران، ١٤٢٠هـ.

١٣. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

١٤. الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٥. العاملي، الانتصار، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦. عباس القمي، الكنى والألقاب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧. عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، عودة الصفويين، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٨. عبد المنعم شفيق، حزب الله رؤية مغايرة أصول وجذور، مجلة البيان، العدد١٤٢، ١٩٩٩م.

١٩. عصام الدين عبد الرؤوف، محسن جمال الدين، المشرق الإسلامي بعد العباسيين، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.

٢٠. محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢١. محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، مركز الأبحاث العقائدية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٢. محمد الموسوي، الفرقة الناجية، تح: فاضل الفراتي، مكتبة الأمين، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٣. محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، دار الشروق، بيروت، ٢٠١٢م.

٢٤. محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٤١٣هـ.

٢٥. محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٢٦.ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٢م.